

الأقليات وحل مشكلتها على ضوء النظرية العالمية الثالثة

د. رجب عبد الحميد الانرم*

توجد أحداث خطيرة سببها وضع الأقليات في سائر أنحاء العالم ، وهي أحداث تتصف بالعنف ويصحبها ضحايا كثيرة . وقد تناول صاحب النظرية العالمية الثالثة معمر القذافي مسألة "الأقليات" أيضا على الصفحة (121) في الفصل الثالث من الكتاب الأخضر بالقول : "..... إن الأقليات التي هي إحدى المشكلات السياسية في العالم سببها اجتماعي ، فهي أمم تحطمت قوميتها فتقطعت أوصالها . فالعامل الاجتماعي عامل حياة عامل بقاء ولهذا فهو محرك طبيعي وذاتي للقوم من أجل البقاء . وعلى الصفحة (173) هذا معمر القذافي طبيعة هذه الأقليات بالقول : "....الأقلية نوعان لأثالث لهما ... أقلية تنتمي إلى أمة وأطرها الاجتماعي هو أمتها .. وأقلية ليس لها أمة ، وهذه لاطار اجتماعي لها إلا ذاتها وهذا النوع هو الذي يكون إحدى التراكبات التاريخية التي تكون في النهاية الأمة بفعل الانتماء والمصير".

ولكي نحيط بعض الشيء بمضمون هذه الحقائق في النظرية العالمية الثالثة علينا أن نبحث في نشوء الأقليات وفي مشكلتها وإن ندرس طريقة حل مشكلتها في العالم على ضوء النظرية العالمية الثالثة.

نشوء الأقليات

أ- النوع الأول : "ال.....أقلية "التي" تنتمي إلى أمة ...:-

نشأ هذا النوع من الأقلية بفعل العنف المسلح ، الذي مارسه الامم الأقوى عسكريا على جاراتها من الامم الاضعف ، فتحول جزء منها أو كلها إلى أقليات في جسم الأمة الغالبة وقد تم ذلك في ثلاث طرق رئيسية:-

1- أن تكون الامم الأقوى قد مزقت وطن الأمة المغلوبة على امرها واقتسمته فيما بينها وتحول شعب أو

أستاذ التاريخ القديم ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والتربية ، جامعة قاريونس - الجماهيرية .

شعوب هذه الامة الي افنيات قومية داخل هذه الامم الاقوى . وحدث ايضا ان جزءا من هذه الامة قد رفض العيش في وطنه الممزق ففضل الهجرة ليعيش في وسط امم اخرى ايضا كأقلية قومية تنتمي الي هذه الامة الممزقة.

2- ان تكون امة قد اقتطعت جزءا من ارض امة اخرى وحولت جزءا من شعبها الي اقلية تنتمي اصلا الى الامة الضعيفة ، التي لم يزل وجودها الحضاري وكيانها السياسي ومحيطها الجغرافي قائما.

3- ان تكون شعوب او مجموعات من شعوب قد هاجرت الي ارض شعب فاحتلتها واقتسمتها فيما بينها واقامت فيها دولها وحولت سكانها الاصليين الي اقلية خاضعة لها .

- ومثلنا على الطريق الاول " الامة الكردية " وماحل بها وكيف مزقت شر ممزق.

- والطريق الثاني ظاهر فيما حل بالشعب الايرلندي ، عندما اقتطعت بريطانيا جزئه الشمالي من كامل جسد امة وحولته الي اقلية في جسم غريب هو الجسم البريطاني.

- وأما الطريق الثالث فيعبر عنه مصير شعب الهنود الحمر في القارة الامريكية.

لقد نشأ هذا النوع من الاقليات خلال العصور الحديثة ، بسبب الحركات الاستعمارية والاستطانية :- فمسألة "الهنود الحمر" بدأت باكتشاف القارة الاميركية في عام 1492 م ، واما المسألتان الكردية والايرلندية فقد بدأتا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وهذه امثلة محدودة جدا وهناك امثلة كثيرة غيرها في العالم يصعب علينا حصرها في هذه الدراسة لضيق الوقت . نجد هنا بأن جميع هذه الاقليات ...تنتمي الي امة ... وأمتها لم تزل قائمة وأمم بعضها لها كياناتها السياسي والجغرافي المجزأ.

ب- النوع الثاني : وتعرفه النظرية العالمية الثالثة بأنه ال...اقلية ... التي .. ليس لها امة وهذه لا اطاراجتماعي لها الذاتها :

إن دراسة نشوء هذا النوع من الاقلية والبحث في تطوره هما اكثر تعقيدا من دراسة نشوء النوع الاول والبحث في تطوره . وقد ادرك صاحب النظرية العالمية الثالثة ذلك فعبر عنه بالقول : "...وهذا النوع هو الذي يكون احدى التراكيمات التاريخية التي تكون في النهاية الامة بفعل الانتماء والمصير". وفي هذا القول تعبير عن ثلاث حقائق ، هي :-

1- ليس لهذه الاقلية امة.

2- لا اطار اجتماعي لها الذاتها.

.....
٢- التراكبات التاريخية التي تكون في النهاية الأمة بفعل الانتماء والمصير.

وتشكل كل حقيقة منها موضوعا جديرا بالبحث ، بحثا ميدانيا الي جاذب دراسته دراسة نظرية
أربخية شمولية ، وعندها يمكن ان نفهم المعاني العميقة لهذه الحقائق مجتمعة ، لأن كل واحدة منها
ستند علي الاخرى وتكملها . لذلك لا ادعي هنا بأني درست هذه المواضيع دراسة شاملة لأن ذلك يتطلب
جهود عدد من الباحثين المختصين في عدد من العلوم وهي علوم الاجتماع والتفسير والتاريخ والآثار
اللغات والجغرافيه ، جهود هؤلاء النظرية والميدانية سواء بسواء . ولذلك ارجو ان ينظر الي شرح هذه
لحقائق بأنه محاولة متواضعة لشرح الاسس التي تكون هذا النوع من الاقليات ليس الا .
بدأ اولا بشرح الحقيقة الاولى التي نعيد التعبير عنها بصيغة السؤال التالي :-

هاذا ليس لهذه الاقلية أمة ؟

لقد كانت أمم قائمة خلال العصور القديمة ، وهي أمم أخفت وجودها من على سطح الارض ولم
يق ما يشير إلي أنها كانت موجودة فعلا سوى هذا النوع من الاقليات.

- لقد هاجرت شعوب كثيرة في العالم عبر مراحل التاريخ الطويلة المتعاقبة وخاصة خلال العصور القديمة
الوسيطة ، هاجرت من مواطنها الاولى ، التي شكلت فيها أمة كان لها روابطها الاجتماعية الخاصة
بها ، الي مناطق أخرى واستوطنت فيها ، في وسط أمة هي التي سادت ولم تزل هذه المناطق ، تسود
روابطها الاجتماعية ، أي بقوميتها . ومع مرور الزمن انفصلت هذه الجماعات البشرية المهاجرة عن
صول أمتها وبدأت تفقد معها روابطها الاجتماعية ، أي القومية التي كانت سائدة اصلا فيما بينها قبل
هجرتها إلي الموطن الجديد وخلال المراحل الاولى من عملية الاستيطان هذه . وهكذا لم تعد تنتمي الي
أمة ولم تعد لها روابط اجتماعية خاصة الا "ذاتها" الكائن في وسط أمة هي السائدة في ارضها .

- وهناك فئة أخرى من هذا النوع ، وهي فئة ليست غريبة عن موطنها الحالي ، لأنها اصلا هي صاحبة
جزء من ارض الأمة التي تعيش في اقليميتها . ولكن واقع بيئتها الجغرافية وعدم محاولتها الانفتاح على
آخرين وموقف الآخرين المعادي منها دفعها عبر التاريخ الي العزلة والتقوقع على نفسها ، فنشأ عندها
لشعور ب"الذات" الخاصة بها المميزة لها في كثير من عناصرها عن الاغلبية ، ولكن لم تعد لها روابط
اجتماعية خاصة الا ذاتها . وهذا الامر موضح في موضعه في الفصل الثالث من النظرية العالمية الثالثة
ذلك على الصفحة (118) "..... والعلاقة القومية هي العلاقة الاجتماعية فالاجتماعية مشتقة من الجماعة
ي علاقة الجماعة فيما بينها فالعلاقة الاجتماعية هي العلاقة القومية والعلاقة القومية هي العلاقة

الاجتماعية"، اذن لا ينطبق ذلك على النوع الثاني من الاقلية، لان المقصود هنا بـ "الجماعة" :
..... الجماعة الدائمة بسبب علاقاتها القومية " (الكتاب الأخضر ص 118) ، لأن العلاقات القومية
هي "..... اساس بقاء الامم". كما هو وارد ايضا على نفس الصفحة 118 من الكتاب الاخضر.
اذن فالعامل الاجتماعي ، اي القومي ، الذي يشكل "..... اساس بقاء الامم". قد اختفي عند هذا النوع
من الاقلية ، بسبب عدم انتماء فئات هذا النوع الي امم قائمة ، فذلك "..... إن الامم التي تحطمت قوميتها
هي التي تعرض وجودها للدمار". كما ورد على الصفحة 121 من الفصل الثالث من الكتاب الاخضر .
وفعلا فقد تحطمت قوميات هذه الاقليات عبر العصور ، لأن انفصال شعب عن امته وتكوينه اقلية في ارض
غريبة بعيدة وفي وسط امة اخرى قوية وانقطاع صلته بامته الاصلية هو الذي دمر الرابطة الاجتماعية في
داخلها ولم يبق لهذه الاقلية الا " ذاتها " . وقد حدد صاحب النظرية العالمية الثالثة معمر القذافي معالم
هذه الظاهرة على ص 121 - 122 من الكتاب الاخضر على الوجه التالي : "..... القومية في عالم
الانسان والحيوان مثل الجاذبية في عالم الجمار والاجرام فلو تحطمت جاذبية الشمس لتطايرت غازاتها
وفقدت وحدتها ، ووحدتها هي اساس بقائها . اذن البقاء اساسه عامل وحدة الشيء ، وعامل وحدة اية
جماعة هو العامل الاجتماعي اي القومية".

وننتقل الآن الي شرح الحقيقة الثانية في تعريف الاقلية من هذا النوع ونبدأ ذلك بطرح السؤال
التالي :- لماذا ليس لهذه الاقلية اطار اجتماعي الا ذاتها؟

طبعي ان عدم انتمائها الي امة افقدها امتلاك الروابط الاجتماعية ، اي القومية ، التي تجدد اطار
هويتها القومية المميزة لها ، هذا الاطار الواسع الذي يسهل على جماعاته التحرك داخله بحيث تتوطد
الروابط الاجتماعية فيما بينها وترسخ جذورها: اللغة والدين والاعراف والتقاليد والتاريخ المشترك
والمصالح المشتركة السياسية منها والاقتصادية والمصير الواحد والتراث الفني الخ . اما هذه الاقلية
فقد فقدت كثيرا من هذه الروابط الاجتماعية ، اي القومية ، ولم تعد تحتفظ الا بـ "ذاتها" القائم وبشعورها
بانها اقلية لها "كيانها" المتميز في بعض جوانبه عن كيان الاغلبية القومية.

وقد عبر صاحب النظرية العالمية الثالثة عن خطورة اوضاع هذا النوع من الاقلية على الصفحة
173 من الكتاب الاخضر بقوله : "..... وهذا النوع هو الذي يكون احدى التراكبات التاريخية التي تكون في
النهاية الامة بفعل الانتماء والمصير". ويشكل هذا القول كما ذكرنا الحقيقة الثالثة ، ونجيز لانفسنا
هنا ايضا ان نصيغ هذا القول في السؤال التالي :- كيف يكون هذا النوع احدى التراكبات التاريخية التي

تكون في النهاية الامة بفعل الانتماء والمصير؟

لقد اشرنا الي تكون هذا النوع من الاقليات بـ.. " تدمير " امتها في عصور قديمة جدا . وأن هذه الاقليات اصبحت بدون امة بفعل وجودها عبر مئات بل احيانا عبر آلاف السنين في وسط امة قوية سيدة في وطنها. وبعض " البؤر البشرية " انعزلت في بيئة جغرافية محدوده فتقوقعت على نفسها وولد فيها الشعور بـ "الذات" وازدادت الهوة عمقا بين هذه "الذات" من جهة ، وبين "ذات" الامة السائدة وروابطها الاجتماعية اى روابطها القومية من جهة اخرى . وهكذا يتكون من "البؤرة البشرية " الواحدة اقلية حافظت على ذاتها ، وعناصر هذه "الذات" كانت تنضج وتتكامل كلما حسّت هذه الاقلية بشدة عداء الاغلبية لها، هكذا حدث في كل العصور ومازال يحدث في عصرنا الحاضر . نعم ان شعور هذه الاقلية بالعزلة التي كانت ايضا قد شاركت في فرضها على نفسها ، دفعها في كثير من الأوقات الي الوقوف موقف المتفرج مما تتعرض اليه الامم التي هي في وسطها من تحديات خارجية وفتن داخلية ، ان لم يكن موقفا معاديا في بعض الاحيان . وسنشرح الاسباب المحركة لذلك في الفقرة التالية.

اذن فالتراكمات التاريخية جعلت من " البؤرة البشرية " المنعزلة اقلية تحس بوجودها المنفصل عن جسم الامة الاغلبية ، وبالتالي لابد ان "تكون" هذه "التراكمات" التاريخية في النهاية الامة بفعل الانتماء والمصير " كما ورد على الصفحة 173 من الكتاب الاخضر.

وتقود عزلة الاقلية عن الاغلبية القومية وبالتالي الحفاظ على شعورها بـ "الذات" الخاصة بل وتنمية عناصر هذه "الذات" عبر التراكمات التاريخية " ، يقود ذلك في النهاية حتما الي شعور كل فرد في هذه الاقلية انه مرتبط بالفرد الآخر فيها ارتباطا مصيريا. واذا ما استمرت عزلة الاقلية عن الاغلبية القومية والمواقف العدائية المتبادلة، فان ذلك سيقود حتما ايضا الى خلق افراد هذه الاقلية روابط اجتماعية خاصة بها مما ستصبح معه مهياة الى تكوين امة تسعى الى الانفصال الكامل عن الاغلبية القومية . وطبيعي ان ذلك سيؤدى الى تجزئة الوطن الواحد الى عدد من الاوطان والى نشوء عدد من الامم الجديدة يساوى عددا من الاقليات من هذا النوع.

خطورة مشكلة الاقليات فى العالم

لقد ادرك الاخ العقيد ، صاحب النظرية العالمية الثالثة خطورة مشكلة الاقليات ، ولذلك طرح الحل في هذه النظرية . ولكن لكي نفهم الحل المطروح هذا وندرك اهميته على المجتمعات الانسانية ومستقبلها ، علينا ان نبحث في خطورة مشكلة الاقلية نفسها.

لاشك في ان وضع الاقليات الآن في العالم يشكل خطورة تعرض وجودها ووجود الاغلبيات التي تعيش في وسطها الي الدمار ، اذا مابقي هذا الوضع علي ما هو فيه الآن ، ولكن من المسؤول عن نشؤ هذا الوضع الخطير وعن استمراره ؟ وفي اجابتنا على ذلك لابد لنا ايضا ان نأخذ بعين الاعتبار موضوع نشؤ النوعين من الاقليات المحددين في النظرية العالمية الثالثة.

أ- خطوره مشكلة النوع الاول من الاقلية

لقد نشأت اقليات هذا النوع بسبب طمع الدول والفئات الحاكمة فيها بالسيطرة على اراضي جاراتها من الامم الاضعف ، وهذه السيطرة هي اما جزئية واما كاملة ، كما سبق ذكره . وتمارس سلطات دول الاغلبيات على هذه الاقليات شتي صنوف الضغط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. ويتمثل الضغط الاجتماعي في فرض هذه السلطات لغتها على الاقليات بهدف طمس وجود لغات الاقليات القومية . واذا كان دين الاقليات هو غير دين الاغلبيات عملت سلطات هذه الاغلبيات على نشر دينها في اوساط الاقليات القومية لتمحو في وجدان هذه الاقليات العامل الثانی المحرك للتاريخ، الذي اكدت على أهميته النظرية العالمية الثالثة.

ويظهر فقدان الاقلية حقوقها السياسية في انها لم تعد سيدة نفسها داخل وسط الاغلبية التي تحتكر ايضا توجيه دفة السياسة الداخلية منها والخارجية للبلاد ، ولذلك لن تمكن الاقلية من ممارسة سياستها القومية الخاصة بها . وفيما يخص الضغط الاقتصادي ، فإن سلطات الاغلبية تستغل ايضا الاقلية اقتصاديا ، وهذا بديهي ، والا لما كانت الاغلبية قد اقتطعت جزءا من ارض امة بشعبها بقوة السلاح وضمتها الي ارضها.

وامام هذه الحقائق كلها فان هذه الاقليات مستعدة للثورة ضد سلطات الاغلبيات الحاكمة وتطالب باستقلالها عنها وتكافح من اجل اعادة وحدتها القومية المجزأة . اذن فهذا صراع قومي . وقد ورد على الصفحة 120 من الكتاب الاخضر بهذا الخصوص ".....الصراع القومي .. الصراع الاجتماعي هو اساس حركة التاريخ ، لانه اقوى من كل العوامل الاخرى ذلك لانه هو الاصل ... هو الاساس ... اي انه هو طبيعة الجماعة البشرية ... طبيعة القوم بل هو طبيعة الحياة نفسها".

.....

وهذا الصراع القومي ... الصراع الاجتماعي نجده واضحا في الدول التي تتكون شعبها من عدد من الاقليات القومية . لان تشكيل هذه الدول قام اصلا على وحدة الدين التي تربط بين اقلية تنتمي اصلا الى قوميات مختلفة (الباكستان مثلا). ولا شك في ان العامل الديني هو العامل الثاني الحاسم في حركة التاريخ ولكن العامل القومي سيتغلب في النهاية . وقد ورد حول ذلك في النظرية العالمية الثالثة على الصفحة 123 من الكتاب الاخضر "... وليس هناك من منافس للعامل الاجتماعي في التأثير على وحدة الجماعة الواحدة الا العامل الديني ، الذي قد يقسم الجماعة القومية .. والذي قد يوحد جماعات ذات قوميات مختلفة ، بيد ان العامل الاجتماعي هو الذي يتغلب في النهاية ، هكذا حدث في كل العصور ."

اذن فالعامل الاجتماعي ، اي القومي ، هو الذي سيتغلب في النهاية ، بالرغم من اهمية العامل الديني ، ذلك ان اقلية تشكل دولة واحدة ، وهي اقلية تنتمي الى قوميات عديدة لابد في النهاية من ان يسود في ذاتها العامل الاجتماعي اي العامل القومي ، فيدفعها نحو قوميتها الاساسية ، خاصة اذا لم تزل نواة كل قومية من بينها موجودة لم تتحطم بعد.

ب - خطورة مشكلة النوع الثاني من الاقلية

تختلف خطورة مشكلة هذا النوع عن نظيرها مشكلة النوع الاول الفاتنة الذكر في عنف الانفجار وفي اتساع رقعة . ان اقلية النوع الاول هي اكثر عنفا في انفجار مشكلتها واكثر اتساعا في رقعة هذا الانفجار ، لاسباب عدة اهمها:-

- 1- لان لاقلية النوع الاول امة قائمة وهي قادرة على دعمها وعلى تغذية صراعها ضد الاغلبية وعلى مدتها باسباب القوة.
- 2- لان اطراف الصراع ليست الاقلية وامتها والاغلبية او الاغلبية فحسب، وانما ايضا امة اخرى لها مصالح معينة خاصة مباشرة كانت ام غير مباشرة في تصعيد هذا الصراع .
- 3- وقد يحدث ايضا ان تتعاون اقلية تنتمي الى امة مختلفة ، بعضها مع بعض ضد الاغلبية التي تقوم في وسطها مما يدفع اممها الى الدخول الى حلبة هذا الصراع (الاقليات في الباكستان وفي ايران وفي بعض دول البلقان ...).
- 4- وقد تكون سببا مباشرا في اشعال نار الحرب الشاملة ، وكانت كذلك الاقلية الالمانية في فرنسا وفي تشيكوسلوفاكيا ، واقلية اخرى في دول البلقان قبل الحربين العالميتين الاولى والثانية .

.....
كل ذلك بسبب عامل وحدة الجماعة ، وقد ورد ذلك في النظرية العالمية الثالثة على الصفحة 121 من الكتاب الاخضر : "... وعامل وحدة اي جماعة هو العامل الاجتماعي اي القومية . ولهذا السبب تكافح الجماعات من اجل وحدتها القومية ، لان في ذلك بقاءها . والعامل القومي ... الرابطة الاجتماعية يعمل تلقائيا على دفع القوم الواحد نحو البقاء مثلما تعمل جاذبية الشيء تلقائيا على بقاءه كتلة واحدة حول النواد..."

واما خطورة مشكلة اقلية النوع الثاني فهي في البداية محدوده في انفجارها ، لان طرفيها خلال هذه المرحلة الاولى هما الاقلية نفسها والاعلبية ، اي الامة السائدة . ويبقى الصراع محدودا هكذا لانه "... ليس ... لهذه الامة ... اقلية ... امة ...". تدعمها في هذا الصراع ضد الامة الغالبة ، ويبقى الصراع محدودا ما دام شعور هذه الاقلية لم يخرج عن حدود "ذاتها" ، اي شعورها بأنها اقلية ليس الا . ولكن هذه "الاقلية" تصبح اكثر عنفا في صراعها ضد الاعلبية عندما تتكون منها "... في النهاية الامة بفعل الانتماء والمصير ...". كما جاء في الكتاب الاخضر ، ص 173.

اذن فعندما يبدأ شعورها بأنها تنتمي الي امة وبأن لها مصيرا غير مصير الاعلبية ، تبدأ مرحلة ثانية من الصراع هي اشد عنفا وربما اوسع نطاقا من الصراع خلال المرحلة الاولى : وليست اوضاع هذا النوع من الاقلية افضل من اوضاع الاقلية من النوع الاول .فا "...حقوقها الاجتماعية الذاتية ..." كالاعراف والتقاليد والعادات واللغة او اللهجة الخاصة تشوه وتسلم لتدمر وكذلك هو الحال بالنسبة لوضعها الاقتصادي والسياسية . وهذا الواقع العدائي من العزلة والاضطهاد اللذين كونتهما "... التراكبات التاريخية ..." ، هو الذي يدفع هذه الاقلية الي البحث عن حليف " لينقذها" من محتتها ، ولكن الاحداث التاريخية برهنت في مثل هذه الحالة ، بأن مثل هذا "الحليف" ليس معاديا للاعلبية فحسب ، وانما لمصالح هذه الاقلية كذلك .

ويتمثل وجود هذا النوع من الاقلية فيما يعرف بـ"العالم الثالث" . وقد ركز المستشرقون على دراسة هذه الاقليات : درسوا اوضاعها واكتشفوا مآسيها في ظل حكم الاعلبية ونشروا دراساتهم في بلدانهم وصارت مرشدا لارباب السياسة والحكم وقادة الجيوش فيها في كيفية الاتصال بقيادة هذه الاقليات والتعامل معهم . كل ذلك بهدف تفجير الوضع الداخلي في مجتمعات الامم ، التي يريدون احتلال اراضيها واستعمارها . وبالفعل فقد نجحوا في ذلك للاسباب التالية:

1- سوء معاملة الاعلبية لجماهير الاقلية .

2- كره جماهير الاقلية للاغلبية نتيجة ذلك .

3- استغلال قادة الاقلية لهذا النزاع بين جماهير الطرفين جماهير الاقلية والاعلوية لتجميع الثروة وللشهرة وللحفاظ على سيطرتهم داخل اوساط جماهير الاقلية.

نعم لم يزل المستشرقون والباحثون في الدول الاستعمارية حتى الآن يبحثون في طبيعة الاقليات من هذا النوع ويرسمون في ابحاثهم النظرية وفي دراساتهم الميدانية صورا لوضع هذه الاقليات : تاريخها ، لغاتها أو لهجاتها ، دياناتها اعرافها وتقاليدها وعاداتها وايضا في توزيع جماهيرها السكاني . وتظهر هذه الاقليات في هذه البحوث والدراسات "امما" لها "شخصيتها الاجتماعية" اي القومية الكاملة المناقضة لشخصية الاعلوية . طبعا هنا يكتمل رسم الصورة "القومية" لهذه الاقليات ، ولو أنه رسم مشوه لحقيقة تاريخ هذه الاقليات الحقيقي . لقد اعطت هذه الدراسات والبحوث دفعا جديدا لتثبيت شعور هذه الاقلية بأن لها امة ، اي انها تكون امة لها شخصيتها الكاملة ، بالرغم من عدم نضوج هذا الشعور في ذاتها نضوجا حقيقيا بعد . لذلك تسرع هذه الدراسات في تقديم موعد بداية المرحلة الثانية من الصراع ، الذي قد يصبح واسعا في نطاقه يفوق اتساع دائرة صراع المرحلة الاولى ، الذي شمل الاقلية والاعلوية . ويكون ذلك بتدخل الدول الاجنبية الطامعة في استعمار وطن الاعلوية وفي مقدمتها دول كبيرة ، وكل منها يعتمد ايضا على وجود هذه الاقلية او تلك من هذا النوع في تفجير الازعاج الداخلية في وطن الامة التي يراد استعمارها بما فيها الجزء الذي يكون قلب وجود الاقلية.

وتصل الي مسامع هذه الاقليات اولا الدعاية المسموعة عبر وسائل الاعلام في الدول الاجنبية ، الدعاية التي تمجد "شخصية قومية" هذه الاقلية وتلك من هذا النوع ، ثم تبدأ دوائر مختصة في هذه الدول بتسريب مآكثبه المستشرقون والباحثون حول هذه الاقليات ، ربما بعد ان شذب وهذب في كثير من افكاره . اذن الكل يغذى هذا الصراع بهدف تحقيق مصالحه الخاصة . ولكن ليس للاقلية وحدها حلفاؤها بل قد يوجد ايضا للاعلوية حلفاؤها هي الاخرى . وتتدخل في هذا الصراع قدرات الاعلوية والاعلوية او الاقليات سواء بسواء ، ويبقى المستفيد الوحيد المستعمرون والمستغلون من كلا الطرفين الاساسيين الاقلية والاعلوية على حد سواء .

حل مشكلة الاقليات على ضوء النظرية العالمية الثالثة

".....كيف تحل مشكلة الاقلية وفقا لحل مشاكل الانسان المختلفة على ضوء النظرية العالمية الثالثة...." هذا هو السؤال الذي طرحه معمر القذافي صاحب النظرية العالمية الثالثة في بداية الفقرة الخاصة بـ "الاقليات" الواردة على الصفحة 173 من الكتاب الاخضر .

أ- حل مشكلة النوع الاول من الاقلية:-

لقد حددت النظرية العالمية الثالثة ، كما اشرنا مرارا نوعين من الاقلية ، وبحثنا فيهما باختصار و اشرنا الي اسس نشأة كل منهما وتطوره وحددنا بخطوط عريضة الاخطار الناجمة عن وجود الاقليات. النوع الاول " ... اقلية تنتمي الي امة واطارها الاجتماعي هو امتها ... " الكتاب الاخضر ص (173):
اذن فلهذه الاقلية امة ، واطارها الاجتماعي اي القومي هو امتها ، فالحل الوحيد اذن لمشكلة هذا النوع من الاقلية هو عودة هذه الاقلية الي الارتباط السياسي والاقتصادي مع امتها. واذا لم يتم ذلك سلما فسيبقي الصراع قائما في العالم بين هذه الاقلية وبين سلطات الاغلبية . ان جماهير هذه الاقلية لن تنسي روابطها الاجتماعية الاصلية ، اي القومية وستبقي تكافح من اجل استعادة وحدتها القومية. وقد ورد ذلك صراحة على ص 119 من الكتاب الاخضر لتعليل ذلك لان "... الحركات التاريخية هي الحركات الجماهيرية اي الجماعية .. اي حركة الجماعة من اجل نفسها .. من اجل استقلالها عن جماعة اخرى ليست جماعتها اي لكل منهما تكوين اجتماعي يربطها بنفسها . فالحركات الجماعية دائما هي حركات استقلالية .. حركات لتحقيق الذات للجماعة المغلوبة - او المظلومة .. من طرف جماعة اخرى..".

ويفهم من ذلك ايضا بأن الظلم الذي تلحقه الاغلبية بالاقلية القومية ناتج ايضا عن عدم قدرة الجماعة المغلوبة على المساهمة في بناء صرح الحضارة الانسانية ، لأنها فقدت وحدتها، وأن هذا الظلم نفسه يحد ايضا من قدرة الاغلبية على الانصراف للمساهمة في اقامة نفس صرح هذا البناء وتطوير قدراتها الخلاقة من اجلها واجل الانسانية قاطبة.

لذلك لاهل لمشكلة هذا النوع من الاقلية ، الا بممارسة كل الحقوق الاجتماعية ، وهذا لا يمكن ان يحصل الا بفعل جاذبية نواتها لها باعتبارها ذرة فصلت عنها بالقوة ولا يمكن تحقيق ذلك الا باسلوبين اثنين فقط :

.....
الاول --- ان تعيد الدول ذات الاغلبية الاجتماعية اى القومية بارادتها الاجزاء التي اغتصبتها من اراضي الامم الاخرى ومن شعوبها.

الثاني --- ان تنتزع هذه الاقلية حريتها بالقوة المسلحة.
ولكن الامل في تحقيق ذلك بالاسلوب الاول هو امل واحلام ليس الا . لذلك ليس امام هذه الاقلية الا الصراع ، لأن "... الصراع القومي .. الصراع الاجتماعي هو اساس حركة التاريخ ..." كما هو وارد في الكتاب الاخضر على الصفحة 120 ، ولأن "... العامل القومي .. الرابطة الاجتماعية يعمل تلقائيا على دفع القوم الواحد نحو البقاء مثلما تعمل جاذبية الشئ تلقائيا على بقاءه كتلة واحدة حول النواة " (الكتاب الاخضر ص 122 . اذن فلا بد من تحقيق وحدة هذه الاقليات مع اصولها سلما كان السبيل الي ذلك ام حربا .

ب- حل مشكلة النوع الثاني من الاقلية :-

جاء في النظرية العالمية الثالثة ، الكتاب الاخضر 173 - 174 حول هذه الاقلية : "... وهذه الاقلية لها حقوقها الاجتماعية الذاتية .. ومن الجور المساس بتلك الحقوق من طرف ابي اغلبية".
لقد اشرنا الي معنى "ذات" هذه الاقلية من وجهة نظرنا وقلنا بأن الاغلبية تحاول ان تسلب من الاقلية الروابط الاجتماعية الذاتية التي تكونت عبر التاريخ وحولت الجماعة البشرية الي اقلية تعيش في وسط اغلبية . اذن فقد اصبحت الذات حقا طبيعيا لهذه الاقلية كالأعراف والتقاليد والدين واللغة ، وهي حقا "... ليست قابلة للمنح والخلع ..." كما ورد في النظرية العالمية الثالثة ، الكتاب الاخضر ، ص 174 .
إن محاولة الاغلبية " خلع" الصفة الاجتماعية عن هذه الاقلية هو بعينه الجور والظلم المغايران لـ"قانون الطبيعة" والحق الطبيعي وان ذلك يصعب تحقيقه الا بالقوة والعنف اللذين يقودان ايضا الي القوة والعنف المضادين . فكم من اقلية ابديت من على سطح الارض عبر العصور بفعل تصميم الاغلبية على "خلع" الصفة الاجتماعية الذاتية عن الاقليات من هذا النوع . ثم ان "منح" هذه الصفة الاجتماعية الذاتية هو ايضا بدوره ظلم وجور ، لأن الاغلبية تخرق بذلك حدود الحق الطبيعي عندما تحاول "منح" "صفة" اجتماعية ذاتية لجماعة من البشر ترفض هذه " المنحة" ، اذ ان هذا يعنى تدمير الصفة القائمة واستبدالها بصفة جديدة تلصق بهذه الاقلية لصقا ، وهذا يقود ايضا بدوره الي العنف والقوة المسلحة والى العنف والقوة المسلحة المضادين . لذلك فإن "منح" الصفة الاجتماعية الذاتية و"خلعها" عنها ، هما في نفس المستوى من

الظلم والقسوة . بذلك تكون النظرية العالمية الثالثة قد قدمت النصف الاول من حل مشكلة هذا النوع من الاقلية وهو حل انساني في مضمونه وواضح كل البوضوح في مسأله تطبيقه .

واخيرا يبقي النصف الثاني من حل مشكلة هذا النوع من الاقلية ، الذى يتمثل في حل مشكلات هذه الاقلية السياسية والاقتصادية . وعندما نستخدم تعبير "النصف الاول" و "النصف الثاني" من الحل، فانا لا نعني به تجزئة الحل نفسه ، وانما اردنا تسهيل فهم تسلسل البحث في هذا الموضوع ليس الا ، لان الحقيقة كلها هي ان حقوق الاقلية كل لا يتجزأ .

ويوجد في الوقت الحاضر اعداد ضخمة من اقلية هذا النوع ، وبعض هذه الاقليات يتمتع ربما بصفته الاجتماعية الذاتية ، ولكن تمتع هذا البعض القليل بها لا يعنى تمتعها كاملا ؟ لان لهذه الاقليات مشكلات سياسية واقتصادية ، لم تحل بعد الحل الذى يكفل لها استمرارية الحفاظ على صفتها الاجتماعية الذاتية وتطوير هذه الصفة لخيرها وخير الاغلبية التي تعيش في وسطها وخير الانسانية جمعاء . وفي الوقت الحاضر يمارس الظلم الاقتصادي والاضطهاد السياسي ضد الاقليات في العالم . السلطة والثروة والسلاح كلها في يد "المتنفذين من الاغلبية ومعهم بعض المتنفذين من داخل الاقلية نفسها . وبما ان عامة جماهير الاغلبية مضطهدة سياسيا واقتصاديا في ظل النظام الاقتصادي والسياسي القائم حاليا في العالم ، فلا يمكن ان تكون ايضا جماهير الاغلبية افضل حالا من جماهير الاقلية نفسها .

اذن فالمصلحة مشتركة بين جماهير الاغلبية وجماهير الاقلية من هذا النوع في ان تثور على واقع النظامين الاقتصادي والسياسي في بلدهما ، .لابه لا امل في حل مشكلة الطرفين الاقلية والاغلبية الا في امتلاك جماهيرهما للسلطة والثروة والسلاح معا في نظام جماهيري هذا هو الحل النهائي لمشكلة هذا النوع من الاقلية .
